العدد 1912 - السنة السابعة
الإثنين 16 رمضان 1435 - الموافق 14 يوليو 2014
Monday 14 July 2014 - No.1912 - 7th Year

مطاردة نابليون بونابرت للمماليك في العريش.. وحصاره عكا

في السادس عشر من شهر رمضان 1213هـ الموافق 20 فبراير 1799م تمت مطاردة نابليون بونابرت للمماليك في العريش ثم هزم أمام عكا.

وصل نابليون إلي مدينة عكا وكان لابد من احتلال هذه المدينة لكي يستطيع الاستمرار في حملته شمالا في الشام ، حيث كانت مدينة عكا تحتل موقعا استراتيجيا مهما.

كان السلطان العثماني سليم الثالث قد أوكل مهمة الدفاع عن المدينة إلي القائد العثماني أحمد باشا الجزار بعد أن رقاه إلي مرتبة وزير، ومن بعدها بدأت المعركة، وبدأت المدافع الفرنسية تصب حممها علي قلاع المدينة وأسوارها، ولكن لم تتحقق توقعات نابليون في النصر السريع، فقد أبدت الحامية العثمانية لمدينة عكا شجاعة فائقة في القتال علي الرغم من تفوق الجيش الفرنسي من ناحية العدد والعتاد الحربية ولا سيما في عدد المدافع التي كانت تصب حممها علي المدينة الصغيرة المحاصرة.

وعقد نابليون مشاورات عدة مع ضباطه ثم قرر إرسال رسالة إلي القائد العثماني يقترح عليه إجراء المفاوضات بين الطرفين. لكن المفاوضات فشلت ورفض الجزار ما جاء به الوفد الفرنسي وما إن نقل الوفد جواب القائد العثماني إلي نابليون حتى جن جنونه، وبدا يفكر في وضع خطة جديدة تؤمن كسر مقاومة الحامية العثمانية، فأمر بأن يتم وضع عشرات بل المئات من المشاعل ليلا علي مقربة من أسوار المدينة لكي يستمر قصف الأسوار ليلا ونهارا دون توقف، وهدم بعض اجزاء من سور المدينة، وهنا أمر نابليون جنده بالهجوم ودخول المدينة من هذه الأماكن.

وأسفر الهجوم عن تراجع المهاجمين بعد أن تكبدوا خسائر فادحة، ومرت الأيام والأسابيع علي هذا المنوال، وبدأ اليأس يستولي علي الجانب الفرنسي، وأخيرا وبعد 64 يوما من الحصار الشديد والقتال الدامي قرر نابليون فك الحصار، وبعلن بانسحابه أنه هزم من قبل قائد عثماني هزم في السبعين من عمره وكانت هذه هي المعركة البرية الوحيدة التي خسرها نابليون حتى ذلك اليوم.

إعدادات حملة نابليون على بلاد الشام

خرج نابليون من القاهرة في فبراير 1799م على رأس حملة مكونة من نحو 13 الف جندى متجهة الى الشام فاتجه الى العريش واسترد قلعة العريش التى كان احمد باشا الجزار د احتلها فى 2 يناير 1799 م وتمكن من هزيمة الجيش العثمانى ثم دخل غزة و احتل فى طريقه خان يونس ومنها الى الرملة فى 25 رمضان حتى وصل إلى يافا فى 7 مارس 1799م واستطاع ان يستولى على يافا وارتكب نابليون فى يافا ابشع الجرائم فى حق اهلها.

مذبحة يافا

لقد قاومت يافا فى بداية الامر فحاصرها نابليون ودخلها عنوة فى أول يوم شوال ولقد استسلمت عندما يأست من نجدتها والزموا التسليم و القاء السلاح بشروط اتفقوا عليها مع اثنين من باروان " نابليون وهما " بوهارنيه – كروازييه " ومن هذه الشروط

1. ان تضمن لهم أرواحهم بعد التسليم

2. تعهد الباروان باسم القائد العام بانهم سيعاملون معاملة الاسرى حرب

فاعطاهم نابليون الامان خديعة منه لحاميتها وعقب دخوله أمر بقتل حاميتها التى كانت تبلغ الاربعة الاف ويرجع ذلك كما يرره نابليون كالاتى ،

-1 عجزه عن إطعامهم و حراستهم فى بلاد نائية لم يستتب له فيها الامر.

-2 خوفه من انضمامهم لقوات عكا.

لذلك سيق اولئك الاسرى الى البحر وتم اعدامهم رميا بالرصاص وانعكس الامر سلبا على حامية عكا التى استبسلت لمعرفتها بمصيرها اذا سلمت وعقب قتلهم انتشر بالمدينة مرض الطاعون من كثرة عدد الجثث

حصار عكا «مفتاح بلاد الشام»

بعد احتلال مدينة يافا، تابع نابليون وجيشه تقدمهم شمالاً، عبر طريق الساحل الفلسطيني والهدف احتلال مدينة عكا وإخضاع واليها"،أحمد باشا الجزار، حاكم عكا آنذاك. خلال تقدم الجيش الفرنسي شمالاً واجهته صعوبات جمّة كالأمراض والتعب وقلة المؤن والعتاد، وحتى خسارة عسكرية بالقرب من نابلس وفقط بفضل قوة الدعم الفرنسية التي وصلت من مصر لمساندة نابليون بقيادة " كليبر " استطاع الجيش الفرنسي مواصلة الطريق واحتلال مدينة حيفا في 1799/3/17، وقوة الدعم العسكري بقيادة كليبر هي التي استطاعت في الواقع احتلال وإخضاع مدينة حيفا حيث أن هذه القوة التي وصلت عن طريق البحر، سبقت نابليون وقوته بالوصول لمشارف حيفا. وقوات " كليبر" لم تلق في الواقع مقاومة تذكر من قبل سكان المدينة بعد أن نزح عنها الجزار وجلب مدافع وحامية المدينة إلىعكا. وسكان حيفا اكتفوا بإيقاد أحد سكان المدينة وكان من أصل أوروبي الذي انتظر قدوم الفرنسيين خارج بوابات ومداخل المدينة، وقام بتسليم الجنرال كليبر مفاتيح المدينة. وبعد ذلك التاريخ 1799/3/17، انضم نابليون وقوته إلى قوات كليبر لتشكل قوة مشتركة للجيش الفرنسي بقيادة نابليون وكليبر ، متوجهين نحو هدفهم التالي والصعب وهو احتلال مدينة عكا وإخضاع الجزار، وقد بلغ عدد الجنود الفرنسيين نحو 12 الف جندي.

في 19 آذار سنة 1799، وصل الجيش الفرنسي لمشارف مدينة عكا وفرض الحصار حول المدينة وباشرَ بضربها بالمدفعية. فقط من الجهة الغربية، من البحر والميناء، بقي مفتوحا وتمركزت في الميناء قوة بحرية انجليزية لمساندة الجزار. أثناء حصار نابليون لمدينة عكا تركزت قيادة الجيش الفرنسي ، على هضبة إلى الشرق من مدينة عكا تدعى تل الفخار (عرفت فيما بعد بتل نابليون) .

اهتم أحمد باشا الجزار (1775–1804)، بتحصين مدينة عكا وبناء أسوار ضخمة حولها في وقت سابق، كان له الفضل الأكبر في صد وردع القوات الفرنسية عن مدينة عكا. بالإضافة للأسوار اهتم الجزار ببناء مرابض للمدفعية وتشييد خندق حول الأسوار بعمق ثمانية أمتار. وتذكر المصادر التاريخية أن عدد المدافع على أسوار عكا بلغ ما يقارب 250 مدفعا، أثناء الحصار الفرنسي، هذا بالإضافة لاهتمام الجزار بجمع كميات كبيرة من الغذاء والقمح والأرز والمؤن وتوفير كميات كافية من المياه في الفترة التي سبقت وصول الجيش الفرنسي إلى مدينة عكا، وذلك استعداداً لوقت الحصار.

في 23 آذار 1799 بدأت المعركة على عكا حيث طوّق نابليون المدينة وضرب حصاراً حولها من كافة الجهات البرية مستعملاً أثناء ذلك القصف المدفعي المكثف، خاصة من ناحية الجهة الشرقية والشمالية–الشرقية للمدينة، لكن نابليون وجنوده فشلوا في اختراق أسوار عكا المنيعة وبطولة أحمد الجزار المستميتة بالدفاع عن عكا وصد العدوان كان له الأثر المعنوي الكبير على حامية وسكان المدينة بالتصدي للقوات الفرنسية. وعندما لم تنجح محاولات نابليون باختراق أسوار عكا أصدر أوامره لجيشه بالاستمرار بحصار عكا والحيلولة دون وصول مساعدة خارجية للجزار. وخلال حصار عكا نجح جنود نابليون بالاشتباك وإلحاق هزيمة بقوات الجيش العثماني القادمة من دمشق بمعركة قرب طبريا، وكانت تلك القوات قادمة لمساعدة ومناصرة الجزار. وفي هذه الفترة القصيرة تمكنت القوات الفرنسية من احتلال طبريا والناصرة وصفد. وخلال فترة حصار عكا التي استغرقت أكثر من 60 يوما، استطاع الفرنسيون من السيطرة وبسط نفوذهم على منطقة الجليل الغربي والتي امتدت من [حيفا] جنوبا وحتى مدينة صور شمالاً، ومن البحر حتى شفاعمرو شرقا. وبعد معركة جبل تابور في 1799/4/16، امتدت منطقة نفوذ الجيش الفرنسي لتشمل بقية مناطق الجليل ومرج ابن عامر.

ميناء الطنطورة كان الميناء الوحيد على الساحل الفلسطيني الشمالي الذي خضع لاحتلال الفرنسيين والذي خدم الجنود الفرنسيين لمغادرة سفنهم ليافا ولاستقبال العتاد والمؤن والمحافظة على اتصالهم بيافا وغزة، ميناء حيفا كان مغلقا أمام الفرنسيين نتيجة الحصار الذي فرضه الأسطول الانجليزي حوله، وميناء عكا كان تحت سيطرة قوات الجزار والأسطول الانجليزي بقيادة الجنرال " سيدني سميث "، الذي ساعد الجزار بتصديه بنابليون وبالدفاع عن عكا.

خلال حصار نابليون لعكا، استعمل واستغل دير الرهبان الكرمليين على جبل الكرمل كمستشفى لمداواة ومعالجة الجرحى والمرضى الفرنسيين، في حين تمت معالجة المرضى والجرحى من الجنود الفرنسيين المحاصرين لعكا في شفا عمرو، حيث تم تحويل قلعة سرايا ظاهر العمر إلى مستشفى عسكري لخدمة الجنود الفرنسيين.

بعد حصار دام 62 يوما حول عكا، من 3/18 - 1799/5/21، وبعدما فشل نابليون وجيشه ومدافعه باختراق اسوار المدينة المنيعة والدفاع البطولي لأحمد باشا الجزار عن عكا بمساعدة الأسطول الانجليزي، وبعدما رفض الأمير بشير الشهابي الثاني (لبنان) في الانضمام لنابليون والتحالف مع الفرنسيين ضد الجزار والعثمانيين، وبعدما باءت بالفشل محاولات وخطط الجنرال « لويس كافرلي »المهندس الرئيسي لجيش نابليون المحاصر لعكا، لاختراق أسوار المدينة ولتفشي الأمراض خاصة الطاعون في صفوف الجنود الفرنسيين وقلة العتاد والمؤن والخسائر البشرية والمادية الفادحة التي تكبدها الجيش الفرنسي خلال فترة حصاره لعكا، قرر نابليون في 20 أيار سنة 1799 فك الحصار عن عكا وأمر جنوده برمي ما بقي معهم من ذخائر على المدينة وأبنيتها، لا سيما قصر الجزار والمنطقة المحيطة به، مما ألحق دمارا كبيرا في أبنية المدينة، وبعد أن فك الجنود الفرنسيون مقر قيادتهم ومعسكرهم من تل الفخار عادوا أدراجهم لمصر، حتى دون أن يشعر بذلك المدافعون عن عكا، وبعد أن ألقى الجنود الفرنسيين بمدافعهم الثقيلة وعتادهم وأسلحتهم للبحر تاركين عكا وعلامات الفشل والإرهاق والخسارة تلاحقهم.

ومهما يكن من أمر فيمكننا استنتاج عجز وفشل نابليون بونابرت باحتلال عكا لسببين رئيسيين، الأول: أسوار المدينة المنيعة وتحصيناتها، والثاني: مساعدة الأسطول الإنجليزي بالعتاد والأسلحة للجزار، كان لذلك أكبر الأثر في دعم ورفع معنويات الجزار بتصديه للقوات الغازية. وبفشل نابليون بكسر شوكة الجزار واختراقاسوار عكا.

تلاشت وتحطمت أحلامه باحتلال اسطنبول والقضاء على الإمبراطورية العثمانية

وفاة أم المؤمنين السيدة عائشة

في مثل هذا اليوم من شهر رمضان المُبارك الموافق الثاني عشر من شهر تموز للعام الميلادي 678، توفيت السيد عائشة أم المؤمنين «رضي الله عنها» زوجة النبي مُحَمَّد ﷺ. توفيت بعد إنتقال الرسول الكريم إلى الرفيق الأعلى بسبعة وأربعين عاما. ودُفنت في البقيع، وكان عمرها آنذاك سبعة وستين عاما.

كانت من أحب نساء الرسول إليه. وتحكي (رضي الله عنها) عن ذلك فتقول ((فضلت على نساء الرسول بعشر ولا فخر: كنت أحب نسائه إليه، وكان أبي أحب رجاله إليه، وتزوجني لسبع وبنى بي لتسع (أي دخل بي)، ونزل عذري من السماء (المقصود حادثة الإفك)،واستأذن النبي ﷺ نساءه في مرضه قائلا: إني لا أقوى على الترديد عليكن، فأذن لي أن أبقى عند بعضكن، فقالت أم سلمة: قد عرفنا من ترديد، ترديد عائشة، قد أذنا لك، وكان أخر زاده في الدنيا ريقي، فقد اسنك بسواكي، وقبض بين حجري و نحري، ودفن في بيتي)).

لقد عاشت السيدة بعد رسول الله ﷺ لتصحيح رأي الناس في المرأة العربية، فقد جمعت (رضي الله عنها) بين جميع جوانب العلوم الإسلامية، فهي السيدة المفسرة العالمة المحدثة الفقيهة. وكما ذكرنا سابقا فهي التي قال عنها رسول الله ﷺ أن فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام، فكأنها فضلت على النساء.

كما أن عروة بن الزبير قال فيها:((ما رأيت أعلم بفقه ولا طب ولا شعر من عائشة))، وأيضا قال فيها أبو عمر بن عبد البر:((إن عائشة كانت وحيدة بعصرها في ثلاثة علوم علم الفقه وعلم الطب وعلم الشعر)).

وهكذا فإننا نلمس عظيم الأثر للسيدة التي اعتبرت نبراسا منيرا يضيء على أهل العلم وطلابه.للسيدة التي كانت أقرب الناس لمعلم الأمة وأحبهم، والتي أخذت منه الكثير وأفادت به المجتمع الإسلامي.فهي بذلك اعتبرت امتدادا لرسول الله ﷺ.

مولد العالم حسنين محمود مخلوف

في 16 من رمضان 1307 هـالموافق 6 مايو 1890م: أبصر النور العالم الكبير حسنين محمود حسنين مخلوف « مفتي الديار المصرية».

صيام المسلمين في كشمير للمرة الأولى

في مثل هذا اليوم من شهر رمضان المُبارك صام المسلمون في كشمير لأول مرة، تمكن رجل من مدينة غزنة الأفغانية يدعى سبك تاكين من تأسيس دولة قوية في أفغانستان، سُميت «الدولة الغزناوية». توسعت حتى دخلت أراضي ما وراء النهر، وشملت البنجاب الهندية. حاول محمود الغزناوي، الحاكم الثالث لهذه الدولة، أن يغزوا كشمير مرتين، بيد أن المحاولتين باءتا بالفشل. فقد كانت الأمطار والفيضانات تمنع الجيوش من دخولها. في المرة الثالثة زحف الغزناوي برجاله الأفغان تجاه كشمير الهندوسية. وعند وصوله إلى حدود الولاية، خرج إليه حاكمها، فرحب به وأسلم على أيديهم من دون قتال. وصاموا رمضان عام 1019 للميلاد الموافق للعام التاسع بعد المائة الرابعة للهجرة النبوية الشريفة لأول مرة. حكم الغزناويون كشمير. ثم من بعدهم حكمها سلاطين مسلمين، إلى أن تم تقسيم الهند إلى دولتين هندوسية وإسلامية، فانشئت باكستان في الغرب وباكستان الشرقية أي بنغلادش في شرق الهند، ورفضت الهند تسليم كشمير ذات الأغلبية المسلمة إلى باكستان، ومنذ ذلك التاريخ والكشميريون يجاهدون لإستقلالهم.

رحيل أبو الفضل محمد بن علي الخلاطي

في مثل هذا اليوم من شهر رمضان المُبارك رحل أبو الفضل مُحَمَّد بن علي بن الحسين الخلاطي، سمع ببغداد ودمشق، ثم إنتقل إلى القاهرة، فغاب في الحكم، حدّث وصنّف كتباً عديدة، منها قواعد الشرع وضوابط الأصل والفرع على الوجيز، مات في القاهرة في مثل هذا اليوم.

رحيل الشيخ شرف الدين المقدسي

في مثل هذا اليوم من شهر رمضان المُبارك المصادف ليوم الأحد في الحادي والثلاثين من شهر تموز للعام الميلادي 1295، رحل الشيخ الخطيب المُفتي، شرف الدين المقدسيّ، سمع الحديث، وكتب حسناً، وصنّف فأجاد وأفاد، وَلي القضاء والنيابة والتدريس والخطابة في دمشق، كان مدرّس الغزاليّة ودار الحديث النوريّة مع الخطابة، كان يتقن فنوناً كثيرة من العلوم، له شعر حسن، جاوز السبعين ودُفن بمقابر باب كيسان، ومن شعر الخطيب شرف الدين بن المقدسي :

أحجج إلى الزهر لتسعى به وارم جمار الهم مستنفرا
من لم يطف بالزهر في وقته من قبل أن يحلّ قد قصراً

رحيل ابن الزّملكاني

في مثل هذا اليوم من شهر رمضان المُبارك رحل إبن الزَّمْلكانيّ العلاّمة كمال الدين مُحَمَّد بن عليّ بن عبد الواحد بن عبد الكريم الأنصاريّ، قال الإمام الذهبي: «كان عالم العصر وكان من بقايا المجتهدين ومن أذكياء زمانه تخرّج به الأصحاب»، مولده بدمشق في شوال سنة سبع وستين وستمائة للهجرة، قرأ الأصول على الصفيّ الهنديّ، والنحو على بدر الدين بن مالك، ألف عدّة تصانيف، طلب لقضاء مصر، فقدمن فمات ببلبيس وحُمل إلى القاهرة ميتاً ودُفن قريباً من قبر الإمام الشافعي «رضي الله عنه».

مولد بدر الدين أبي محمد محمود

في مثل هذا اليوم من شهر رمضان المُبارك الموافق للعشرين من شهر تموز للعام الهجري 1361، أبصر النور العلاّمة، فيد عصره، ووحيد دهره، عمد المؤرخين، وقاضي القضاة، بدر الدين إبي مُحَمَّد محمود إبن أحمد العَيني، هو أحد الذين قاموا بشرح صحيح الإمام البخاري في الحديث الشريف وهو بعنوان «عمدة القاري بشرح صحيح الإمام البخاري». عُدَ هذا الشرح من أعظم الشروح في فن الحديث وفيه يقول العلاّمة المؤرخ إبن خلدون: «صحيح البخاري دِينٌ على الأمة، لم يقضيها عنها إلا الإمامان، إبن حجر والعَيني»، أما شرح إبن حجر العسقلاني، فهو بعنوان «فتح الباري»، وهو كذلك من أعظم شروح البخاري.

رحيل أحمد بن علي المقريزي

في السادس عشر من شهر رمضان عام 845هـ الموافق 27 يناير 1442م، توفي أحمد بن علي المقريزي، المؤرخ المشهور، وصاحب كتاب (المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار)، وله كتب أخرى.

مقتل السلطانة كوسم مهبيكر

في مثل هذا اليوم من شهر رمضان المُبارك، مقتل السلطانة «كوسم مهبيكر» أشهر النساء في التاريخ العثماني عن عمر يناهز 62 عاما ودفنت بجوار قبر زوجها السلطان أحمد، تولى ابناها مراد الرابع، وإبراهيم السلطنة، وكذلك حفيدها مُحَمَّد الرابع، وكانت نائبة السلطنة عن حفيدها الذي لم يبلغ السابعة من عمره، لم تتردد في عزل ابنها إبراهيم عن السلطنة والتآمر لقتله، لعشقها للحياة السياسية والسلطنة.

خَديجة تارخان تتولى نيابة السلطنة في الدولة العثمانية

في مثل هذا اليوم من شهر رمضان المُبارك، خَديجة تارخان تتولى نيابة السلطنة في الدولة العثمانية، نيابة عن ابنها الصغير مُحَمَّد الرابع، وهي من أصل أوكراني، وكان عمرها آنذاك 24 عاما، واستمرت نيابتها حتى سبتمبر 1656م، عندما صعد كوبرولو مُحَمَّد باشا إلى الصدارة العظمى (رئاسة الوزارة). وقد توفيت خَديجة عن عمر يناهز الـ 56 عاما سنة 1683م.

مبايعة سيف ابن سلطان اليعربي إماماً لعُمان

في مثل هذا اليوم من شهر رمضان المُبارك، سيف إبن سلطان اليعربي يُبايع إماما لعُمان، وقع نزاع شديد بين يُعرب إبن بلعرب إبن السلطان وبين رجل من أبناء عمومته يدعى سيف إبن سلطان، فمال الناس إلى سيف فأقاموه إماما حاكما لهم في رمضان، واشتدت النزاعات بين الجانبين، وفي تلك الظروف وصل البرتغاليون إلى شواطئ أفريقيا وكانت مركزا كبيرا من مراكز التجارة العربية البحرية، استعان سيف بن سلطان بالبرتغاليين على منافسه منافقه يُعرب بن يُعرب، فأحتلوا مسقط ومطرح وصور وجزيرتي قيس وهرمز، فحققوا له ما أراد، لكن تبين فيما بعد حقيقة نواياهم ورغبتهم بالسيطرة على الموانئ العربية، وعندما تولى أمر عُمان الإمام سلطان إبن مرشد اليُعربي، تحالف مع الصفويين في إيران، فدخلوا في معركة مع البرتغاليين، حتى طردوهم من مواقع في جنوب الخليج، وأكمل النضال ضد البرتغاليين أحمد إبن سعيد، الذي إنتقلت إليه الإمامة، ليبدأ عصر جديد من عصور عُمان، وما زالت أسرته الكريمة تحكم سلطنة عُمان، حتى اليوم.